Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

# فاعلية الحجة في القرآن الكريم

## *The Effectiveness of Argumentation in the Holy Quran*

1 نصيرة غقاقلية- GHEGAGLIA Nacira
1 أستاذ محاضر (ب)، المركز الجامعي سي الحواس- بريكة، الجزائر،
**Lecturer professor, degree B, University Center of Barika – Algeria.**
nacira.ghegaglia@cu-barika.dz

المؤلف المرسل: نصيرة غقاقلية- GHEGAGLIA Nacira الإيميل: nacira.ghegaglia@cu-barika.dz

تاريخ الاستلام: 2023-02-02 تاريخ القبول : 2023-03-24

**الملخص باللغة العربية:**

يعد الخطاب القرآني خطابا حجاجيا بامتياز، لكونه خطابا فرضته الفترة الزمنية آن ذاك وما يعيشه المجتمع من اضطرابات عقائدية حالت دون وحدته فكريا واجتماعيا. فجاء القرآن الكريم كرسالة سماوية إقناعية بحمولته الحجاجية من أجل صناعة الرأي وتوجيه الإرادة لحقيقة التوحيد وما يترتب عليها من ممارسات تعبدية. ولا يتأتى ذلك إلا بخطاب حجاجي يراعي مختلف الخصوصيات التي يتميز بها المجتمع العربي وقت ذاك، ولعل أهم حجة يمكن أن نشير إليها هي اللغة المختارة لتبليغ الرسالة (اللغة العربية) وما تتميز بها من مرونة في الصياغة من جهة وتنوع في الأساليب الخطابية من جهة أخرى، والحجة واحدة من آلياتها التي اعتمد عليها في إقناع المجتمع من أجل تبني عقيدة التوحيد. كما يعد اختلاف مستويات التّلقي مجالا خصبا للخطاب الحجاجي باعتباره خاصية أساسية من خصائص الخطاب الإقناعي. ما يهمنا في هذه الورقة البحثية هو دراسة الحجاج من خلال مجاله التداولي في القرآن الكريم، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية وزمانية لغرض الإقناع، انطلاقا من استقراء هذه الحجج في الخطاب القرآني معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي في محاولة للإجابة على مجموعة من التساؤلات تتمثل في : ما طبيعة الحجاج في الخطاب القرآني؟ . ماهي أهم صيغه؟ وفيم تتمثل قوانينه في الحوار القرآني؟

**الكلمات المفتاحية:** الحجة - القرآن الكريم – الإقناع - فاعلية

**Abstract:**

The Qur'anic discourse is a distinctive argumentative speech, because it is a speech imposed by the time frame and the religious disturbances that society experienced at that time, which prevented its intellectual and social unity. The Holy Qur'an came as a persuasive heavenly message with its argumentative substance in order to shape and guide opinions towards the truth of monotheism and its consequent devotional practices. And this can only be achieved through an argumentative speech that takes into account the various particularities that characterize the Arab society at that time. Perhaps the most important argument we can point to is the language chosen to communicate the message (Arabic) and its flexibility in drafting on the one hand and the diversity of rhetorical methods on the other hand, and argumentation is one of the mechanisms that it relied on to convince society to adopt the doctrine of monotheism. Different levels of reception are also a fertile area for argumentative discourse as a key characteristic of persuasive discourse. What concerns us in this research paper is the study of argumentation through its deliberative field in the Holy Quran, as it takes into account the requirements of the case of common knowledge, and situational and temporal orientations for the purpose of persuasion. Based on the extrapolation of these arguments in the Qur'anic discourse, relying on the descriptive analytical approach in an attempt to answer a set of questions: - What is the nature of argumentation in the Qur'anic discourse? - . - What are its most important models? - And what are its principles in the Quranic dialogue?

**Keywords:** Argument - Holy Quran – Persuasion - Effectiveness

**مقدمة:**

مما لا شك فيه أنّ الإقناع لا يتحقق إلاّ بالحجة الفاعلة الدامغة أثناء العملية التّخاطبية الموائمة لمقتضى حال المُخَاطَبِ ودرجة فهمه واستيعابه، وتختلف هذه الحجج باختلاف حال المخَاطَبِين وسياقاتهم، كما تتفاوت فرص التأثير وإنجاح عملية حملهم على قبول ما يطرحه صاحب هذه الحجج.

ويُعد القرآن الكريم سياقا مناسبا طُرِحت فيه فاعلية الحجج باختلاف أنواعها وأغراضها، مما أضحى مجالا خصبا لمدونة تُرْصَد فيها فاعلية الحجة باعتبارها آلية إقناعية محورية في القرآن الكريم.

وعلى ضوء الإشكالية المطروحة تمّ استقصاء البحث في هذه الحجج باستقراء نماذج من القرآن الكريم اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي بغية الوقوف على تأثير وفاعلية الحجة القرآنية ونسقها الجمالي والتّبليغي والتوجيهي.

وقبل الخوض في تحليل تلك النماذج المختارة، يجب إضاءة بعض المفاهيم النظرية المتعلقة بالحجاج بصفة عامة ومساقاته في القرآن الكريم.

**المحور الأول: مفهوم الحجة لغة واصطلاحا**

**أولا-المعنى اللغويّ للحجاج والحجة:**

الحِجاج بالمعنى اللغوي العام، هو جِدال أو خصومة كلامية بين اثنين فأكثر، يحقق أحدُهم(ا) الغَلَبة على الآخر(ين) بالدليل والحجّة. وهذا يعني أنّ الحِجاج، هو طلب الحجة إما بنية الغلبة إذا أخذت النفس العزة بالإثم، وإما بنية اثبات الحق وازهاق الباطل، جاء في لسان العرب: "الحجّة ما دوفِع به الخصم. وفي حديث الدجال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه. والحجة الدليل والبرهان ... ومنه حديث معاوية: فجعلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة[1]."

ويقابل لفظ "الحجاج" في الفرنسية لفظ: **Argumentation** التي تدل على معان

مقاربة للتي في اللغة العربية ؛ فحسب قاموس روبير " **Le Grand Robert** هو: "القيام باستعمال الحجج ، أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة ، أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة"[2]ونجد لفظة**Argumenter** تشير إلى: "الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج ، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج"[3]وعرّفت أيضا على أنها الدليل قال الله تعالى : " **فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغة**" **(الأنعام: 149)**؛ أي الدليل القاطع الذي لا يعارضه معارض.

كما يقصد بها الحق المطلوب[4]يقول ابن قيم الجوزية" الحجج هي الأدِلةُ العلميةُ التي يَعْقِلُها القلب، وتَسْتَمِعُهَا الأذن"[5] بمعنى تسمعها الأذن.

**ثانيا- المعنى الاصطلاحي:**

إن مفهوم الحجاج مفهوم عائم يصعب حصره والإحاطة به؛ فهو يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله؛ إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية، والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة[6].

جاء في المعجم الفلسفي أن:"الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله والمحاجة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها" [7]وتقارب هذه الدلالة ما جاء في موسوعة "لالاند"؛ إذ تعرف الحجاج بأنه:" طريقة عرض الحجج وترتيبها، أو هو سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها[8]

ويرى "بيرلمان" (Perelman)، و"تيتيكا" (Tytica) أن الحِجاج غايته التأثير العمليّ، الذي يمهّد له التأثير الذهنيّ"[9]والحِجاج هو " تَوجيه خطاب إلى مُتَلقٍّ ما ؛ لأجل تعديل رأيِه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلاّ بالكلام المتألِّف من معجم اللغة الطبيعية"[10]

يعرف بيرمانوتيتيكا الحجاج بأنه: "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حملا لمتلقي على الإقناع بما يُعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع معبرا عن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه إلى القيام بالعمل" [11]

ويقدم برلمان و تيتيكا في موضع آخر تعريفا للحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بها، يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"[12]

أما غاية الحجاج عندهما، هي دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بالإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا، التي تُقدم لهم.[13]

يعرّف سيد قطب الحجاج بقوله:"هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه"[14]نستشف من تعريف سيد قطب أن الاحتجاج لا يتم إلا وفق خطوات تصوبنا نحو المعنى المدرك بحجة خاضعة لأحكام المنطق والاستدلال العقلي تدحض حجة المجادل وتقنعه بما قدم له من حجج.

أما الحجة فلا يختلف معناها اللغوي عن الاصطلاحي كثيرا، ف "هي الموصل إلى التصديق"[15]؛ أي أنها السبيل لغلبة الخصم وحمله على اليقين والاقتناع.

وعرّف التهانوي في الكشاف الحجة الإلزامية بأنها:" المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته"[16]، هي اسم لبرهان أهل الحق والدلالة البينة للمقصد الذي يقتضى صحة أحد النقيضين[17]أو ما

دلّ على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد[18]أو عبارة عن دليل الدعوى، وقد تطلق على الشبهة أيضاً لأنها مستند المخالفة فهي حقيقة في الدليل مجاز في الشبهة[19].

**المحور الثاني: الحجة في السيّاق القرآني**

ذكرت لفظة الحجة عديد المرات في السور القرآنية، وقد حدّدت دلالتها في ثلاث معان هي :

_ الحجة البينة الواضحة المبينة للمقصد.

_وقد يراد بها ما يحتج به الإنسان لو كان غير مبين.

_ وقد يراد به المحاجاة والمنازعة[20].

قال الله تعالى: **" أَلَمْ تَرَ إلى الذي حَاجَّ إبرَاهيمَ في رَبِّهِ" (سورة البقرة: 258)، وقوله: " قُلْ أتُحَاجُّونَنَا فِي اللّه" (البقرة: 139) .**

وقوله: **" فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جَاءكَ مِنَ العِلْمِ "(آل عمران : 61) ، وقوله: " يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَا تُحَاجُّونَ فِي إبْرَاهِيمَ" (آل عمران: 65)، وقوله: " هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ" (آل عمران: 66)**

يتضح لنا من هذه الآيات أنّ معنى الحجة على اختلاف اشتقاقها قد أتى بمعنى المناظرة والمخاصمة، فالحديث فيها يخص أهل الكفر على اختلاف مله وأشكاله، فهم مولعون بالخصام والجحود والعناد.

أما معنى البرهان فقد جاء في هذه الآيات:

من المؤمنين مع الكفار في قوله تعالى: **" لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم" (الشورى: 15)**،

جاء من الكفار بحسب اعتقادهم فيقوله تعالى: **" ومَا كَانَ حُجَّتُهم إلاّ أنْ قَالوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (الجاثية: 25)**

ومن إبراهيم عليه السلام في تمهيد قواعد الإيمان في قوله تعالى: **"وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ"(الأنعام: 83)**.

ومن الله عزّ وجل إلى عباده منه قوله تعالى:" **قُلْ فَلِلّه الحُجَّةُ البَالِغَةُ "(الأنعام: 49)، وقوله:" لئلا يكونَ لِنّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ إلاّ الذينَ ظَلَمُوا" (البقرة: 150).**

يمكن القول أنّ مفهوم الحجّة في السّياق القرآني لم يخرج عن المعنى اللّغوي لها، وقد حوى القرآن الكريم الكثير من الحجج على اختلافها، فيأتي بها الله مرّة ابتداء من عنده، ومرة على لسان نبي من أنبيائه، ومرة أخرى من ثنايا قصة من القصص.

**المحور الثالث: خصائص الحجة في القرآن الكريم :**

لقد اشتمل القرآن الكريم على أكثر الأجوبة عن الأسئلة التي وجهها الإنسان منذ خلق، وبما أنّ الرسالات اختتمت بالقرآن الكريم فقد حوى أسمى أساليب البلاغة الحجاجية، وسنقف على بعض من خصائص نسج الحجة فيه منها:

**أولا-خاصية الترتيب:**

تعد خاصية الترتيب والتدرج من الطرق التي يتم تطوير الحجة بها، وهذا عن طريق " الشرح وغايته إضفاء قيمة على الحجة بواسطة التفسير والتوضيح. وإدماج عناصر مدعّمة نحو: المثال والمعطيات الإحصائية. وأيضا تطوير بنية حجاجية صغرى، هدفها تدعيم الحجة، ومنحها شرعية أكثر، وذلك بواسطة التضمين"[21]من خصائص الحجة في القرآن الكريم الترتيب ولكي نفهم أكثر يمكننا أن نستدل بقوله تعالى: **"لَوْ كان فِيهِمَا آلِهةٌ إلاّ الله لَفَسَدتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُون "( الأنبياء : 22)**

من خلال ملاحظتها للآية الكريمة يتضح لنا أنها تتكون من مجموعة أقوال تتمثل في:

_ لم تفسدا السماوات والأرض

_ فسدت السماوات والأرض (نقيض القول الأول)

_ ليس في السماوات والأرض آلهة غير الله

_ في السماوات والأرض آلهة غير الله (نقيض القول السابق)

ومما سبق يتّضح أنّ كل نص ترتبط أقواله ارتباطا موجها؛ يجعل أحد طرفيه مرتبطا بالآخر فيعد بمثابة حجة، فالمحتج يحتاج في دليله إلى استخدام المقدمات التي تكفي لحصول النتيجة المطلوبة، وقد يغيّر ترتيب حجته؛ فيبدأ بذكر النتيجة، ثم يأخذ في الاحتجاج عليها.

**ثانيا -تنوع الحجة حسب الفئة المخاطبة:**

إذ ضمّت في أسلوبها الحجاجي مع المخالفين الحجج الجدلية، والبراهين العقلية، والأقيسة المنطقية بأساليب خطابية تناسب المستويات المختلفة، والطبقات المتفاوتة بحيث تحس كل طبقة أنها هي المعنية من الخطاب، فقد حاجج الشعراء وأهل اللغة بما يتقنونه من الفنون اللغوية، وحاجج أهل الكتاب بما يجدونه مكتوبًا في كتبهم، وحاجج الفلاسفة ببرهنة الحقائق الإيمانية بحجج جدلية عقلية، وأقيسة منطقية ملزمة لهم، وحاجج العرافين والكهان بأخبار غيبية غائبة عنهم، وما زالت حججه تتجدد يومًا بعد اليوم، فقد برهنت الآيات العلمية الإعجازية فيه أن الاكتشافات العلمية الحديثة تزيد القرآن رسوخًا في الإعجاز والمحجة. فقد خاطب القرآن الكريم كل طبقة من الطبقات البشرية في كل عصر من العصور، وكأنه متوجه توجهاً خاصاً إلى تلك الطبقة بالذات.

**المحور الرابع: أنواع الحجة في القرآن الكريم:**

إنّ الغرض الأساس من الحجة هو الإقناع ووصولنا لهذه الغاية يتطلب طرح الحجج على اختلافها تبعا لنوع المخاطَب ومناسبة السيّاق، ابتغاء حمل المخاطب على قبول ما يطرحه المتكلم، وهناك من يرى أنّ الإقناع هو " العملية التي يؤثر فيها الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر"[22].فنجاعة الحجاج مرتبطة بإقناع الطرف الثاني بما يطرحه الطرف الأول في العملية الحجاجية، ونجاعة الإقناع تكمن في مدى وصول الخطاب إلى ذهن المتلقي وتسليمه لما يطلبه المتكلم أو المحتج.

إذ يُعَدُّ الحِجاجُ شكلًا من أشكال التواصل؛ فهو حِوار ومحاورة، وجِدال ومجادلة، ونِقاش ومناقشة من أجل الوِفاق والاتفاق، والإقناع والاقتناع، وهذه أعمال تستدعي الآخر بالضرورة؛ إذ إنّ كل تفكير حِجاجي هو تفكير مع الآخر، وتواصل معه[23]وقد تقرر لدى "بيرلمان" أنْ "لا حِجاج بدون وجود جمهور يرمي الخِطاب إلى جعلِه يقتنع، ويسلم، ويصادق على ما يُعرض عليه."[24]

وسنعرض في هذا المقام نماذج لحجج فاعلة على اختلافها وردت في القرآن الكريم وهي كالآتي:

**أولا-الحجة البرهانية:**

تمثل الحجة القائمة على الاستدلال المباشر والقياس الصحيح، وتفيد اليقين الجازم، لكونها مكونة من مقدمات يقينية آيلة إلى نتائج يقينية، إذ اليقين في المقدمات والنتيجة سيّان.

وهي أعلى مرتبة من مراتب الحجج، ولذلك تسمى بالبرهان أو القياس البرهاني أو الحجة القطعية كما سماها الأحمد نكري[25]؛

ومن أمثلة الحجة البرهانية في القران الكريم قياس إعادة الخلق على بدئه كما في قوله تعالى :**"اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (الروم : 11)** . فهذا قياس برهاني للدلالة على إمكان إحياء الأموات، وهو أنه تعالى لما كان قادرًا على أن يخلقنا ابتداء من غير مثال سابق، فلأن يكون قادرًا على إيجادنا مرة أخرى مع سبق الإيجاد الأول كان أولى.

وهذه الدلالة تقريرها في العقل ظاهر، وأنه تعالى ذكرها في مظان عدة من كتابه، منها: قوله سبحانه **" قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(يس:79).**في هاتين الآيتين يسوق الله عزّ وجل حججا برهانية على من أنكر البعث يوم القيامة، ووجه الاحتجاج أن إيجاد الأحياء من العدم، هي مقدمة صحيحة عند الكفار، فالذي قدر على خلق الكائنات ابتداءً من العدم قادر على إعادة إحيائها مرة ثانية بالقياس الأولى.

وقد تنوعت أساليب الحجة البرهانية في الآيات القرآنية، باختلاف السيّاق ونوع المخاطَب نجد في الآية :**" قال يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أم كُنْتَ منَ العَالِيْنَ" (صاد** :75) ، جاءت هذه الآية في صيغة الاستفهام الذي شحن برسائل الإنكار والتوبيخ والتقريع، في سؤال الله لإبليس وندائه باسمه " **يَا إِبْلِيسُ** " وقوله: "**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**" حجة برهانية إيماءة للفت نظر إبليس إلى عظمة الخالق، وتشريفه لهذا المخلوق(آدم)، ثم مطالبته باختيار أحد الأمرين بعد هذا العلم: الاستكبار أم العلو .

يلاحظ في هذه الحجة (البرهانية) أنّ مقدماتها كانت يقينية، وفي كل يوم تتكرر، فلا مجال للشّك فيها أو المجادلة.

**ثانيًا-الحجة الجدلية:**

هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الحجج، وقد يسميها بعضهم بالقياس الجدلي[26]هي الحجة القائمة على مقدمات مشهورة بين الناس، ويعتقدون بها اعتقادا مقاربا لليقين، فلا يشعر الذهن للوهلة الأولى أنّ نقيضها ممكن، فالكل إذا يسلم بهذه المقدمات ويعرفها. لكن هذه المقدمات في الحقيقة لا ترقى لمرتبة اليقين التام، لذلك تأتي في مرتبة دون مرتبة الحجة البرهانية.

ومن أمثلة الحجج الجدلية في القرآن، الاستدلال على ضرورة اليوم الآخر بصفة العدل التي يتصف بها الخالق جل وعلا في القرآن، والاستدلال المباشر بانتفاء صفة العدل عقلًا في التماثل بين الصالحين والطالحين والمحسنين والمسيئين، كما يفهم من الاستفهام الإنكاري في قوله عزّ وجل: **" أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" (القلم: 35-36)**. وهذا الاستفهام إنكاري نفيٌّ للمساواة بينهم، وحجة غير مباشرة على ضرورة إقام الحساب بالعدل بين الخلائق في يوم القيامة ووجه الإلزام في الآية هو أنّ قول المشركين (إنّ الله تعالى سيفضلنا على المسلمين في الآخرة، أو يساوي بيننا)، يستلزم منه الإيمان بوجود الآخرة والحساب، وإيمانهم هذا يستلزم الإيمان بالخالق العادل، وهذا بحد ذاته حجة عليهم في انتفاء المساواة بين محاربتهم لله، وإطاعة المسلمين له، وإنّ من مقتضى العدل عدم التسوية بين المسلمين والمجرمين، وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض، بين المتقين والفجار.

**ثالثا-الحجة الخطابية:**

" وهي الحجة التي لا تلزم الطرف الآخر الأخذ بها، لأنها غير ملزمة الصدق في الكلام، وهي تفيد ضنا راجحا مقبولا، لأنها تعتمد على مقدمات ضنية"[27]

وقد اعتمد القرآن الكريم هذا النوع من الحجج كحجج مضافة إلى الحجج البرهانية والجدلية، حول توحيد الألوهية[28]؛ أي هي الحجة القائمة على مقدمات مبنية على الظن الراجح لكنها غير ملزمة للخصم. والظن الراجح على مراتب أعلاها قريب من اليقين وأدناها قريب من الشك. ولم يرد في القرآن الكريم بحسب استقرائي حجج خطابية منفردة في برهنة الحقائق الإيمانية بل وردت مقترنة بالحجج البرهانية والجدلية أي أنها حجج اعتضادية وليست أصلية.

ومن الحجج الواردة في القرآن الكريم مضافة إلى الحجج البرهانية، والجدلية لبرهنة حقيقة التوحيد قوله تعالى :**"ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (الروم:28)** في هذه الآية ضرب الله مثلًا للذين جعلوا له شركاء، هو: استفهامه لهم: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكا له في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه سواء؟، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلِمَ رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي؟. ووجه الاحتجاج أنّ الله سبحانه احتج عليهم بأمر يستنكفون عنه ورافضين له ظنًا منهم أنّ ذلك تقليل من شأنهم، فاستنكر عليهم الله تكبرهم على عبيدهم من البشر مثلهم مع إرضائهم ذلك لله مع عبيده وهو خالقهم.

إنّ الإقناع الحادث في الحجاج الخطابي هو تقريبا بين المتحدث والمتلقي، وليس بالضرورة أن يستخدم البرهانيات الصورية بحرفيتها المستعملة في المحاورة الجدلية البرهانية، وقد يستعملها بصورة بسيطة، وقد يستعمل حججا مختلفة، ويمكن أن تكون تلك الحجج أو ما سماه أرسطو بالتصديقات حججا خارجية (كالشهود واليمين) في بعض أنواع الخطابة.

**رابعًا- الحجة الشعرية:**

"مسلك آخر في الحجاج مهم يقوم على بناء العواطف داخل الخطاب بناء حجاجيا يساعد على تبرير ما يشعر به المتكلم من عواطف، وحمل المخاطب على الاعتقاد في صحة ذلك الشعور، ومن ثم على تبنيه"[29]

ومع ذلك يصدقها السامع لكونها سيطرت على مشاعره ووجدانه. ويستعمل الشعراء هذا النوع من الحجج للسيطرة على مشاعر الآخرين بالاعتماد على مقدمات خيالية ووهمية. أما القرآن الكريم فهو منزه من المفهوم المذكور أعلاه، وإن كانت فيه آيات فيها حجة شعرية فليست بذات المفهوم السالف الذكر، ولا غرابة أن نجد كل حجة من حجج القرآن قد اجتمعت فيها هذه الأنواع المختلفة من الحجج، يقول بن تيمية" وكثير من المقدمات _ مع كونها خطابية أو جدلية_ يقينية برهانية، بل كذلك مع كونها شعرية. ولكن هي من جهة التيقن بها تسمى برهانية، ومن جهة شهرتها عند عموم الناس وقبولهم لها تسمى خطابية ومن جهة تسليم الشخص المعين لها تسمى جدلية"[30]ويمكن أن نضيف ومن جهة سيطرتها على المشاعر وتحريك النفوس تسمى شعرية.

ومنه قوله تعالى: " **لَوْكَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونْ"(الأنبياء:22)**، ولنا أن نتمعن كيف جمع الله في هذه الآية كل أنواع الحجج المقبولة، مع التزام الصدق في أعلى درجاته، وخير تعليق هذا هذه الآية ما جاء في كتاب النبأ العظيم للشيخ دراز قائلا: " انظر كيف اجتمع الاستدلال والاستعظام في هذه الكلمات القليلة. بل الدليل نفسه جامع بين عمق المقدمات اليقينية، ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من الفساد والترهيب منه، فهو برهاني خطابي شعري معا، فهل تجد مثل هذا في كتاب من كتب الحكمة النظرية"[31]

**خامسًا- الحجة المغالطة:**

والحجة المغلطية هي ما يشبه الحق وهي باطل[32]؛ هي الحجة القائمة على مقدمات غير صحيحة، غرضها تمويه السامع وخداعه، وهي من الحجج المحرّمة شرعًا والمرفوضة عقلًا. وقد صدرت مثل هذه الحجج من الكفار في جدالهم مع الأنبياء عليهم السلام، كما فعل نمرود في محاجّته لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :" **أَلَمْ تَرَإِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَوَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(البقرة: 258)**. فالحجة الصادرة من نمرود حجة مغالطة؛ لأنها بنيت على مقدمة خاطئة، وهي تفسير حقيقةَ (الإحياء) بالتخلي عن المسجون و(الإماتة) بقتله. فلا يخلو حال نمرود إما أنه لم يفهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهتة، وكلاهما يوجب العدولَ إلى دليلٍ يفضحُ معارضته ويقطعُ حجاجه. ويبدو لي أن انتقال إبراهيم عليه السلام، إلى الحجة الثانية لم يكن إقرارًا منه على حجة نمرود، بل كان ذلك إلزامًا له بحجته في ادعائه الربوبية، مبينًا أن الذي يحي ويميت يكون قادرًا على التصرف في الوجود في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته، فأمره بتحويل نواميس الكون، وذلك بإتيان القمر من المغرب على خلاف العادة. فلما عجز عن ذلك تبين فساد حجته الأولى وبطلانها.

**خاتمة:**

**1**_ في الخطاب القرآني يُعَد الحجاج دائما عنصرا مهّما في عملية الإقناع، وفي إدراك الحّق وقبوله.

**2**_الخطاب القرآني في مفهومه متميّز طبعا عن سائر الخطابات البشرية؛ فهو يتوجه إلى أصناف متعددة متباينة من المخاطبين في عصور مختلفة يستهدف إرشادهم جميعا مراعيا تدّرج معانيه حسب تدّرج الأفهام والعقول.

**3**_ رغم كثافة آليات الحجاج وتنوعها وثرائها إلا أنها أتت في نسيج ضام ومتناغم ومتسق ومترابط، فيكاد يكون كله خطابا حجاجيا مكثفا يزداد فيه الحجاج وينقص، يعلو ويخفت يشتد ويلين يهمس ويجهر حسب مقتضيات الخطاب لتصل بالمتلقي إلى برّ التسليم المطلق.

**4**_استطاعت حجج القرآن_ بأنواعها المختلفة_ أن تأخذ بالعاطفة والوجدان على نحو جعلها تسيطر على القلوب اعتمادا على الحق والصدق، من غير اللّجوء إلى الخيال أو الأوهام.

**5**_ اتسام حجج القرآن جميعها بكونها شعرية، كان له أثر عظيم على النُّفوس، وجعلها حججا مقبولة لدى كل فئة من فئات البشر.

**6**_ نجد من حجج القرآن ما جَمَعَ بين الأنواع الأربع في آن واحد، وهذه صورة من صور الإعجاز القرآني

**7**_ تجلّت الحجة المغالطية في القرآن الكريم في صورة لغز تحمله مقدمة الحجة ولا يتأتى فهمه إلاَّ لمن أوتي حظا من التّفكير وسرعة البديهة.

**8**_ جسّدت الحجة في الخطاب القرآني الجانب الجمالي، والتوجيهي في الآن ذاته.

**قائمة المراجع:**

1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن منظور ت 711ه)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، المجلد الثاني، الجزء التاسع، د.ت مادة (ح ج ج).

2- ابن قيم الجوزية (751ه)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسين بن قائد، دار عالم الفوائد، جدة، ط1، دت، المجلد1.

3- محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ،دار الناشر للثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005م.

4- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1 ، 2003م.

5- صولة عبد الله، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة ، تونس، 1999م.

6- سامية الدريدي. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري، عالم الكتاب، الاردن، ط1، 2008م.
7- عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسليكياني للنشر، تونس، ط1، 2011م.
8- محمد طلحة. تداولية الخطاب السردي، منشورات الحياة، الأغواط، ط1،2008م.
9- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ج 3، مجلد1، 1985م .
10- الأحمد نكري (القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت ق 12ه )، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2000م، ج2.
11- التهانوي(محمد بن علي بن محمد)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، ج1،1996م.
12- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (817ه)، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النّجار، ط3، القاهرة ،1996م.
13- الجرجاني الشريف أبي الحسن محمد بن علي الحسني الجرجاني (886ه)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت،2000م.
14- ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (634)، استخراج الجدل من القرآن الكريم، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي ،1981م.
15- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (الحجاج وحوار التخصصات)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م، ج3.
16- ابن عيسى باطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء، الكويت ، ط 1،2000م.
17- أعراب حبيب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي: "عناصر استقصاء نظريّ"، عالم الفكر،م30، ع1، 2001م.
18- ابن تيمية ( أحمد بن عبد الحليم ، ت 728ه) ،37 جزءا، كتاب المنطق ، مجمع الملك فهد بن عبد العزيز.
19- جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء المنصورة، مصر، ط1، 1989م.
20- عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، تحقيق: حسين مؤنس، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
21- محمد عبد الله دراز النبأ العظيم: نظرات جديد في القرآن الكريم، درا القلم، دمشق.
22- Le Grand Robert , Dictionnaire de la langue française , Paris , 1989 .
23- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت395)، معجم مقاييس اللغة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، مصر، ط2 ، 1971م، مادة: (حج)، ج2.
24- أندريه لا لاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ، بيروت، ط 1،2001م.
25- مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القران الكريم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،ط 2 ، 1970م، مج1.
26- حاتم عبيد، منزلة العواطف في الحجاج، مجلة عالم الفكر عدد خاص بالحجاج، العدد2، المجلد40، ديسمبر2011م.
27- محمد الولي ، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، 2011م.

**الهوامش:**

[1]ينظر: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن منظور ت 711ه)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، المجلد الثاني، الجزء التاسع، د.ت مادة (ح ج ج).

[2]Le Grand Robert , Dictionnaire de la langue française , Paris , 1989 ,p53 .

[3]المرجع السابق، ص 453.

[4] انظر: ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت395)، معجم مقاييس اللغة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، مصر، ط2 ، 1971م، مادة: (حج)، ج2،ص 30.

[5]ابن قيم الجوزية (751ه)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسين بن قائد، دار عالم الفوائد، جدة، ط1، دت، المجلد1، ص 407.

[6]محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ،دار الناشر للثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005 ، ص: 6.

[7]أندريه لا لاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ، بيروت، ط 1،2001، ص 93.

[8]عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1 ، 2003 ، ص 120.

[9]صولة عبد الله، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة ، تونس، 1999م، ص: 303.

[10]ينظر: محمد الولي ، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، 2011 ،ص 11.

[11]سامية الدريدي. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري، عالم الكتاب، الاردن ، ط1، 2008م ، ص: 21.

[12]عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسليكياني للنشر، تونس، ط2011،1، ص: 13.

[13]محمد طلحة. تداولية الخطاب السردي، منشورات الحياة، الأغواط ،ط2008،1م ، ص: 126.

[14]سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ، 1985م، مجلد1، ج 3، ص297.

[15] الأحمد نكري (القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت ق 12ه )، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون،تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2000م، ج2 ، ص 11.

[16]التهانوي(محمد بن علي بن محمد)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996م، ج1، ص 611.

[17] الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (817ه) ، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النّجار، ط3، القاهرة ،1996م، ص431.

[18] الجرجاني الشريف أبي الحسن محمد بن علي الحسني الجرجاني (886ه)، التعريفات، ، دار الكتب العلمية، بيروت،2000م،ص87.

[19]ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (634)، استخراج الجدل من القرآن الكريم، ،تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي ،1981م،ص157.

[20] مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القران الكريم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،ط 2 ، 1970م، مج1، ص249.

[21]حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (الحجاج وحوار التخصصات)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م، ج3، ص 376.

[22]ابن عيسى باطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء، الكويت ، ط 1،2000م، ص 21.

[23]أعراب حبيب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي: "عناصر استقصاء نظريّ"، عالم الفكر، م30، ع1، ، 2001م، ص 103.

[24]صولة، عبد الله ، لحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ، كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1999م، ص306.

[25] الأحمد نكري (القاضي عبد النبي بن عبد الرسول ت ق 12ه ) ، دستور العلماء، ج2، ص11.

[26]انظر: ابن تيمية ( أحمد بن عبد الحليم ، ت 728ه) ،37 جزءا، كتاب المنطق ، مجمع الملك فهد بن عبد العزيز ، ص10.

[27]جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء المنصورة ، مصر ،ط1، 1989م ، ص129.

[28]انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار القلم ، دمشق ، ط1، 1985م، ص301.

[29]حاتم عبيد، منزلة العواطف في الحجاج، مجلة عالم الفكر عدد خاص بالحجاج، العدد2، المجلد40، ديسمبر2011، ص240.

[30]ابن تيمية كتاب،المنطق، ص10.

[31] محمد عبد الله دراز النبأ العظيم : نظرات جديد في القرآن الكريم ، درا القلم ، دمشق ، ص 117.

[32]انظر: ابن تيمية، كتاب المنطق، ص10.